واضحة: فبخروج الاردن، مؤقتاً، من الصورة، تستطيع اسرائيل ان تردّد حججاً مقنعة بأن ليس هناك من محاور عربي يمكن الجلوس معه في محادثات سلام، ومن ثمّ ليس هناك مناص من اقامة اسرائيل الكبرى(٤٤).

في كلام كهذا نفخ شاميري واضح؛ وفيه، ايضاً، تطوير نشط لمفهوم «الاردن هي فلسطين»، الذي يحاول بايبس ليس احياءه فحسب، بل سبغ اهمية فائقة عليه. «فباختفاء الخيار الاردني»، قال بايبس، سوف تواجه اسرائيل، على ما يبدو، خيارين لا ثالث لهما: ضم الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، او تسليمهما الى م.ت.ف. واي من هذين الخيارين لهو أسوأ ممّا يبدو لاول وهلة، لأن الضم سوف يؤدي امّا الى ازمة سكانية في اسرائيل، او ترحيل السكان العرب بالقوة؛ امّا ضخ القوة في جسد م.ت.ف. فان هذا سيعني، ببساطة، تتويج دولة شديدة العداء الى جانب اسرائيل. الخيار الاول ينبىء بكارثة تحل بحياة اسرائيل الداخلية، وبشكل الثاني تهديداً خارجياً اضافياً(٤٥).

ولمّا كانت هذه الحقيقة غير مريحة، خصوصاً لدى الدبلوماسيين الاميركيين الذين يشعرون بأن من الواجب على اسرائيل ان تفعل شيئاً، فان بايبس سأل: هل حقاً يجب عليها ان تفعل شيئاً؟ واجاب بأن العمل من اجل العمل لا يجدي نفعاً، وان افضل ما تفرزه الظروف الراهنة هو «الانتظار»، اقلّه لرؤية ما ستسفر عنه هذه المعركة الحامية. واضاف، ان عدم التحرك الدبلوماسي لا يخلق فراغاً سياسياً؛ فالظروف تدعو فقط الى اعادة تأكيد المبادىء الاولى، وفي مقدمها عملية البحث عن محاور عربي. وعليه، فان الذين يتحرّقون شوقاً للوصول الى حل للمشكلة يجب عليهم ان يناشدوا العرب، وليس الاسرائيليين، لتغيير مواقفهم؛ وما لم يحدث ذلك، فليس هناك احتمال لحدوث تحسّن كبير بالنسبة الى الموقف المحزن الذي يسود في المنطقة اليوم(٤٦).

امّا هنري كيسنجر، الذي يتمتع اليوم بهيمنة نسبية لمدرسته على ادارة الخارجية الاميركية، سواء عبر تولّي عدد من مساعديه السابقين مسؤوليات جديدة، او فيما يشاع بانه يشكّل مرجعاً غير رسمي للادارة الحالية، فقد كتب مقالة مطوّلة بعنوان «اسرائيل وم.ت.ف. أماني وحقائق» وضع فيها العديد من النصائح والاقتراحات لعملية السلام في المنطقة، محذّراً الادارة الاميركية من مغبّة «اضعاف الروح الاسرائيلية من خلال الضغط عليها» خوفاً «من دفعها الى الدخول في حرب مع العرب لانقاذ الوضع وخلق معطيات جديدة في المنطقة». واقترح، في المقابل، ان تتفاوض اسرائيل مع سكان الارض المحتلة، «لأن الظروف من اجل حل نهائي ليست متوفرة حتى الآن»(٤٧). وكان كيسنجر كتب مع سايروس فانس مقالة طويلة شاملة عن السياسة الخارجية الاميركية، يمكن اعتبارها، على الارجح، تلخيصاً أميناً لمجمل فكره الاستراتيجي. رأى كيسنجر ثلاث نقاط متميزة يجب ان ينحصر اطار المفاوضات فيها: الاولى، ان اسرائيل ليس في مستطاعها البقاء في الارض المحتلة، فالتطور الديمغرافي وتزايد نزعات العدوان تجاهها من قبل سكان هذه المناطق، ونمو التيارات الراديكالية في المنطقة العربية، بالاجمال، ضد بقائها؛ والثانية، ان لاسرائيل حقاً في ضمان أمن حدودها، وهذا الحق الاساس يضمنه القرار ٢٤٢ منذ عشرين عاماً خلت؛ اما الثالثة، فهي ان للفلسطينيين حقوقاً مشروعة، ينبغي الاقرار بها، في مقابل اعترافهم بحق اسرائيل في العيش بأمن وسلام داخل حدودها. لكنه، في الوقت عينه، اقترح على الادارة الاميركية المقبلة تطوير افكار للحل، ترتكز على الحل من خلال المفاوضات المباشرة. وبلغ حماسه مبلغه، بحيث هتف، بعد هذا الاقتراح: «اذا كانت النتيجة هذه قد تمّ التوصل اليها، فان الاجراءات ينبغي ان تأتي في المرتبة الثانية من الاهمية؛ والاّ، فان التجميد هو الشعار المناسب»(٤٨).